

جماليات التشكيل اللوني في قصيدة " الحوريات الثلاث " لعقاب بلخير

The aesthetics of color formation in the poem
"The Three Mermaids" by OGAB Belkheir

المؤلف د. نورة قطوش¹

البريد الإلكتروني : noura.guettouche@univ-msila.dz . كلية الآداب واللغات - جامعة محمد بوضياف المسيلة. الجزائر.

Article معلومات المقال info	ملخص Abstract
تاريخ الاستلام: 2022 / 04 / 18 تاريخ القبول: 2022 / 12 / 07 تاريخ النشر: 2022 / 12 / 15	يعدّ التشكيل اللوني في الشعر العربي القديم والحديث وسيلة من وسائل التعبير، ومن خلاله يتم معرفة وجهة نظر الشاعر، ورؤيته للأشياء، ومظهر هام من مظاهر الواقعية في الصورة الشعرية، وقد وقع الاختيار على قصيدة " الحوريات الثلاث " للشاعر عقاب بلخير، حيث سيتم التركيز على الصورة اللونية ودورها في الكشف عن محاور الجمال الفني في القصيدة .
الكلمات المفتاحية لون ، جماليات، صورة شعرية- تشكيل ، قصيدة	
Key words) Color, aesthetics, poetic image, formation, poem	Color formation in ancient and modern Arabic poetry is one of the means Expression, through which the poet's point of view, his vision of things, and an important aspect of realism in the poetic image are known. The poem "The Three Mermaids" by the poet Oqab Belkheir was chosen, where the focus will be on the color image and its role in revealing the axes of artistic beauty in the poem.

مقدمة:

للصورة الحسية أهمية كبيرة في نقل الصورة إلينا. فالشاعر الحاذق يختلف عن غيره في أنه يرى أبعد وأدق لأنه لا يكتفي بالنظرة السطحية بل يحاول أن ينفذ إلى أعماق الأشياء ويعرف جوهرها، وهذه المحاولة هي التي تجعل الشاعر لا يقبل ما يرد على العين بل يتجاوزه إلى النادر الذي لا يُعتاد والغريب الذي لا يُؤلف¹. وتعدّ الصورة البصرية الأكثر شيوعاً عند أغلب الشعراء باعتبار أن العين هي الأداة الكبرى لإحساس بالجمال والإحاطة بمعانيه. فعن طريقها يكون الاحتكاك مباشراً بنوع التجربة بل إن هذه أسبق الحواس في إدراك هذا الواقع². من هنا تنبع أهمية الصورة من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى وتأثيرها في المتلقي.

يقوم الشعر بالدرجة الأولى على الخيال والتصوير، وهما ركنا العملية التكوينية للصورة اللونية في الشعر. واللون من أهم العناصر التي تشكل الصورة الأدبية لما يشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية، والنفسية، والدينية، والرمزية، والاجتماعية. كما أن للألوان دلالات متنوعة ومتعددة تدخل في حقول معرفية مختلفة وسيتم التركيز في هذه القصيدة على الدلالة النفسية خاصة.

إنّ اللون يمنح الحياة والوجود قيمة لا يمكن إغفالها، إذ تشكل الصورة اللونية دوراً هاماً في تجسيد تجربة الشاعر مما يجعلها أحد المفاتيح الهامة في فهم التجربة الشعرية والوصول إلى المغزى الكامن وراء الكلمات. فضلاً عما يثيره توظيف اللون من رموز وإيحاءات" وتراسل يتجاوز الإطار المعجمي "دلالات الألفاظ" وينتقل بها من المحسوس إلى ما وراء الظاهر والإطار المحدود"³

وما يمكن الإشارة إليه أنّ ميل الإنسان إلى لون معين مرتبط بمجموعة من الخصائص الفردية كاختلاف الذوق والطبائع وسرعة التأثر والإحساس الفني⁴ فيكون اللون بذلك "شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة وبيّناها فهو كلامها المعبر عن نفسها"⁵، فالألوان بالإضافة إلى كونها مظهراً من مظاهر الواقعية، تكون حاملة لإرث ثقافي في جملة من البنى الأسطورية المؤسسة لثقافات الشعوب ولها دلالات جمالية. "فكم هي الصورة المتخيلة للكون وما فيه من كائنات قائمة ليس لها ألوان، ولا تريح العين ولا تبعث في النفس الرضا"⁶، وبالتالي يمكن القول أن "نجاح التعبير في الصورة الشعرية منوط بإجادة الشاعر اختيار أدواته اللونية، واستغلالها بشكل أحسن، فالشاعر يتسع مجال الرؤية لديه ليكتسب نوعاً من الشمول "فلم تعد أشكال الحياة ألواناً مختلفة يستقل بعضها عن بعض، إنّما تتمازج الألوان فيها لكي تصنع الصورة العامة"⁷.

إذا رجعنا للتعريف الاصطلاحي للون فما هو إلا ذلك "التأثير الفسيولوجي الناتج على شبكة العين سواء كان هذا اللون مادة صباغية أم ضوءاً ملوناً"⁸ وقد عدّ "النميري" في كتابه "الملمع" خمسة ألوان أساسية في اللغة وهي: الأبيض، الأسود، الأحمر، الأصفر، والأخضر⁹

وهذه الألوان قد ارتكزت عليها أكثر الدراسات في الحقول المعرفية خاصة في الشعر، ووظفها الشعراء في أشعارهم وبدرجات مختلفة، وهو ما يظهر جليا في شعر "عقاب بلخير" حيث لفت انتباهي في ديوان الشاعر "عقاب بلخير" * "بكائيات الأوجاع" وصهد الحيرة في زمن الحجارة قصيدة مختلفة عن باقي قصائد الديوان إذ أنها تحمل لونا من الفرح، وتحمل صورة مشرقة لعبت فيها الألوان دورا مهما إنها قصيدة " الحوريات الثلاث". حيث وظف الشاعر فيها الألوان بشكل واضح ، وهي قصيدة يصف من خلالها صفات فتيات ثلاث فاق جمالهن كل جمال.

2- اللون الأخضر:

يعدّ اللون الأخضر من أكثر الألوان وضوحا واستقرارا في دلالاته، وهو من الألوان المحببة ذات الإيحاءات المبهجة كاللون الأبيض، ويبدو أنه استمد معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة أصلا كالنباتات وبعض الأحجار الكريمة ، كالزمرّد ثم جاءت المعتقدات الدينية لتعمق من هذه الإيحاءات حين استخدمت اللون الأخضر في الخصب والرزق¹⁰ . يفتتح الشاعر قصيدته بقوله:

أمس راقبتكن وراء الشجر

قد عدوتن حيث اسبقتن والضوء كان يدر الدّر¹¹

فمنذ الوهلة الأولى ندرك أن الشاعر قد اعتمد في قصيدته على الألوان لتجسيد فكرته فتظهر لنا صورة جميلة وظف فيها الشاعر اللون الأخضر ، كما أنه وظف عنصر اللمعان من خلال ذكره للنور والضوء ، وهذا ما زاد هذه الصورة إشراقا.

وأحيانا يرسم الشاعر صورة بصرية يكون اللون الأخضر حاضرا فيها لكن من خلال الرمز إليه، ومثال ذلك قول الشاعر:

-أمس راقبتكن وراء الشجر

قد عدوتن حيث اسبقتن والضوء كان يدر الدّر¹²

حيث استغل الشاعر ذلك الأثر الجميل الذي يتركه اللون الأخضر في النفس، وما يحمله هذا اللون من دلالة رمزية على تجدد الحياة وورغد العيش ، فالشاعر وظف اللون الأخضر ، وقدم لنا صورة رائعة عن تجدد الحياة وانبعاثها من جديد، وهو لون الخصب والرزق، والنماء وقد

ورد ذكره في القرآن الكريم مرات عدة ،منها قوله تعالى "ألم ترى أنّ الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إنّ الله لطيف خبير"¹³ ،فالشاعر وظف اللون الأخضر الذي يترك ذلك الأثر الجميل ،ويبعث التفاؤل في نفس المتلقي .

3-اللون الأزرق:

اللون الأزرق هو لون السماء ،وقد كثر توظيفه من طرف الشعراء لما يحمله من دلالات نفسية فهو يدل على الصفاء والنقاء. فالشاعر البارع هو الذي يجعل المتلقي يتصور الشيء الموصوف وكأنه يراه. وقد وظفه الشاعر في قصيدته من خلال قوله :

أفق لاهب بالشعاع وزرقة بحر بعيد¹⁴

ضحكات غلام وهمس ترمّ شادي على مشرف

الشط كانت حوارى البحار تناغيني

بكلام كهمس المحار يرش الصدي

في الأبيات السابقة ذكر الشاعر اللون الأزرق بلفظه،وذلك من خلال قوله: " زرقة بحر" ، فالشاعر جعلنا نتصور تلك الصورة الجميلة الوضاءة عن زرقة مياه البحر وزادها امتزاجها بأشعة الشمس جمالا. ويواصل الشاعر وصفه بقوله:

وفي وجههن المغشى بماء ونار

ملوحة البحار وعذب الثمار¹⁵

حيث وظف الشاعر اللون الأزرق مرة أخرى ، ولكن بالإشارة إليه بلفظ "البحار، كما مزج بين اللونين الأزرق والأصفر في ذكره كلمة "نار" فقدم لنا لوحة فسيفسائية تبعث الارتياح في النفس.

بالإضافة إلى ما سبق اعتمد الشاعر في صوره البصرية على عنصر اللمعان وعنصر النور، ومن الأمثلة على ذلك نذكر قول الشاعر:

أفق لاهب بالشعاع وزرقة بحر بعيد

تصوّب نحو الصخر

الشعاع المسافر من فلتات العيون وبارود رمش

على الخدّ يطبع عين الحور¹⁶

فهذه الصورة جمعت بين نقيضين : لشعاع بضائه ونوره يجعلنا نتخيل صورة وضاءة يغلب عليها اللمعان، وفي المقابل يذكر الشاعر جمال العيون وشدة سوادها. فالشاعر يرى أن نظرات عيون تلك الفتيات كأنها سهام مصوبة تقتل كل من تصيبه لا محالة

4-اللون الأسود:

لقد ظهرت دلالة اللون الأسود في القرآن الكريم في غير موضع، ومثال ذلك قوله تعالى: " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"¹⁷

يعود الشاعر في موضع آخر من القصيدة ليذكر هذه الصورة عن جمال تلك العيون، وهذه المرة بوصف كحل العين وذلك في قوله:

وذا الكحل باروده يضرب الرمش بالرمش

والعين بالعين والقلب بالقلب يلهني¹⁸

حيث رسم الشاعر صورة لونية لعب فيها اللون الأسود دورا بارزا، .بالإضافة إلى هذا نجد الشاعر قد لجأ استعمال اللفظ الدال على حاسة البصر وهي "العين"، وهذا حرصا منه على تجسيد المعنى وتوضيح الفكرة للمتلقي.

وبناء عليه يمكن القول أن توظيف الشاعر لعدد من الألوان في قصيدته قد ساعد في نقل إحساسه للمتلقي، وجعله يتفاعل معه، ويتأثر

بتلك الصور الجميلة التي نجح في تصويرها إلى حد، والتي لعب فيها اللون دورا مهما .

5-اللون الأحمر:

اللون الأحمر هو لون الحركة والحياة، أما عاطفيا فيعدّ اللون الأحمر لون الحب والتفاؤل. وبالتالي يمكن القول أن "ألوان الأشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث تواترا في الأعصاب وحركة المشاعر"¹⁹. وظف الشاعر اللون الأحمر وذلك في قوله:

سفك الدم والعظم والجلد يقلعني

ألف أغنية للحواري

والانبهار

وللدم حين يصير غماما وحين المحبة

ويصبح وردا بأيدي الصغار²⁰

حيث يظهر اللون الأحمر في هذه الصورة الشعرية من خلال ذكر الشاعر للفظ الدم ، كما أن لشاعر وظف اللون الأحمر لكن بغير لفظه وأشار إليه بكلمة "الورد" ، ويختتم الشاعر قصيدته بلوحة فنية رائعة جمع فيها مجموعة من الألوان فقدم صورة تبعث الارتياح في النفس حيث يقول:

وجلست على صخرة

أتأمل في بركة شكل وراح النداء يخلق بي

والطيور التي احتبست حينما شدّها وتر الارتجاج هوت

من سماها على قدمي وهزّ النداء حبال الوتر

حينما انخطفت أذني

ذاب صوت وأبرق صوت وقد طلع الورد من جسدي

حينما أسقط الدمع من خدهن المطر²¹

حيث ظهر تردد اللون الأزرق من خلال ذكره "البركة ماء" وذكره للسماء ومنظر الطيور فيها . كما أن اللمعان يظهر مرة أخرى في القصيدة من خلال ذكره لكلمة "أبرق" التي تجعلنا نتخيل صورة وضاءة، ثم يعود الشاعر ويقدم صورة لونية جديدة يبرز فيها اللون الأحمر مرة أخرى من خلال ذكره للورد، وكذلك ذكره للفظ "خدهن" حيث شبه الخدود بالورد ،وهي صورة شعرية متداولة لدى الشعراء منذ القديم .حيث يتم تشبيه الخدود بالورد لشدة حمرتها.

لقد قدّم الشاعر صورة لونية جميلة مزج فيها بين الألوان من أجل التعبير عن حالته الشعورية كما أن هذه الصورة اللونية تبعث الارتياح في نفس المتلقي.

6-خاتمة:

- من خلال ما سبق يتبين لدينا أن الشاعر قد ارتكز على الصورة اللونية في قصيدته " الحوريات الثلاث " بشكل واضح وذلك للتعبير عن حالته الشعورية .فقدم لنا صورا لونية رائعة جسدت إحساسه وجعلت المتلقي يتأثر بها وبالتالي يتعاطف معه .
-وبذلك يمكن القول أن اللون قد شكل مرتكزا هاما في القصيدة ولعب دورا مهما في فضاء الصورة .
ويبقى للون أهميته في القصيدة ،إذ المفردة اللونية تكاد تخلق لغة خاصة في النص الشعري إذ لها مدلولها وأسرارها "إذ تعد الألوان من أغنى مدلولاتها اللغوية التي توسع مدى الرؤيا في الصورة الشعرية وتساعد على تشكيل أطرافها المختلفة بما تحدّثه من طاقات إيجابية وقوى دلالية،وبما تحدّثه من إشارات حسية وانفعالات نفسية في المتلقي"²² .
واللون أحد التقنيات التي تعمل على تغيير نظرة الشاعر وإعطائها أبعادا لا يستشفيها إلا صاحب ذوق وإحساس مرهف. وبالتالي فللصورة اللونية أهمية،في تشكيل الصورة الشعرية وفي تجسيد المعنى وتوضيحه، كما أنها تساهم بشكل كبير في التأثير في المتلقي.

7-المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

-المصادر:

1- عقاب بلخير: بكائيات الأوجاع وصهد الحيرة في زمن الحجارة-شعر-منشورات إبداع، د.ت،

-المراجع:

2 الأخضر ميدني ابن حويلي(2005): الفيض الفني في سميائية الألوان عند نزار قباني،مجلة دمشق،مج21، ع 3- 4 .

3- الحسين بن علي النمرى(1976):الملمع،تحقيق:وجيهة أحمد المظل،مطبعة زيد بن ثابت،دمشق.

4-جابر عصفور(1974): الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

جماليات التشكيل اللوني في قصيدة " الحوريات الثلاث " لعقاب بلخير
The aesthetics of color formation in the poem "The Three Mermaids" by OGAB Belkheir

- 5—عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط1، دت .
- 6—عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب ، دار غريب للطباعة ، القاهرة، ط4، دت ،
- 7—علي إبراهيم محمد(2001): اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، ط1، لبنان، طرابلس .
- 8— فوزي عيسى: تجليات الشعرية، قراءة في الشعر المعاصر، منشأة الإسكندرية ، جلال حري وشركاه. دت
- 9— ظاهر محمد هزاع الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن ، عمان، د.ت.
- 10— محمد يوسف همام(1930): اللون، مطبعة الاعتماد القاهرة.
11. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين الجزء الثاني، إعداد مجموعة من الأساتذة إشراف رايح خدوسي، منشورات الحضارة 2012.
- 12—وحيد صبحي كباة(1999): الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفصال والحس، منشورات اتحاد الكتاب العرب

جماليات التشكيل اللوني في قصيدة " الحوريات الثلاث " لعقاب بلخير
The aesthetics of color formation in the poem "The Three Mermaids" by OGAB Belkheir

الهوامش والإحالات

- 1 جابر عصفور(1974)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ص173.
- 2 - وحيد صبحي كباية (1999)، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفصال والحس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص92.
- 3 - فوزي عيسى ، تجليات الشعرية، قراءة في الشعر المعاصر، منشأة الإسكندرية ، جلال حري وشركاه، ص185
- 4 - الأخضر ميدني ابن حويلي(2005)، الفيض الفني في سميائية الألوان عند نزار قباني، مجلة دمشق، مج21، ع3، ص4، ص113 .
- 5 - محمد يوسف همام(1930)، اللون، مطبعة الاعتماد القاهرة، ص01 .
- 6 - ظاهر محمد هزاع الزواهره ، اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن ، عمان، ص13.
- 7 - عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، ط1، دت ، ص106.
- 8 - علي إبراهيم محمد(2001)، اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، ط1، لبنان، طرابلس، ص19.
- 9 - الحسين بن علي النمري(1976)، الملمع، تحقيق: وجيهة أحمد المظل، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ص01.
- عقاب بلخير: شاعر وأستاذ جامعي من مواليد:03جويلية1964بالمسيلة عضو رابطة إبداع الوطنية ، واتحاد الكتاب الجزائريين شارك في ملتقيات أدبية عدة ،من مؤلفاته:السفر في الكلمات(1992). الدخول إلى مملكة الحروف(1999) ، الأرض والجدار، ديوان تحولات . موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين الجزء الثاني، إعداد مجموعة من الأساتذة إشراف رابع خدوسي منشورات الحضارة2012.ص304. *
- 10 --أحمد مختار عمر: اللغة واللون، عالم الكتب، ط2، القاهرة، د.ت، ص79.
- 11 - عقاب بلخير، بكائيات الأوجاع وصهد الحيرة في زمن الحجارة-شعر-منشورات إبداع، د.ت، ص17
- 12 - المصدر نفسه، ص ن.
- 13 - سورة الحج، الآية 63
- 14 --المصدر نفسه، ص ن
- 15 - المصدر نفسه، ص ن
- 16 - المصدر نفسه، ص ن
- 17 - الآية106، آل عمران

عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة ، القاهرة، ط4، ص59. 19-

20 – الديوان، ص18.

21 – نفسه، ص19.

22 – عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب ، ، ص59.